إشكالية الفن عند مارتن هيدغر

سعد العيدودي: طالب دكتوراه :جامعة محمد بن أحمد وهران 2

اشراف: اد عبد الله عبد اللاوي جامعة محمد بن أحمد وهران 2

ملخص:

احتل الفن موضعا متقدما و مكانة مرموقة في فلسفة هيدغر، ففكره يستدعي الفن بشكل مستمر وقوي، لدرجة جعلته يوظف حقلا دلاليا ثريا بالمصطلحات والاشارت المتضمنة لمعنى الفن ولكل ماجاوره من مباحث ،كما ان للفلسفة حسبه علاقة وثيقة بالاستطيقا ،فمع هيدغر نسجت الصلة المزدوجة بين فكر الوجود وتصوير فان غوغ من جهة، وقصائد هورلدرين من ناحية ثانية، وكان هذا من اكبر الشواهد على التحول الذي حدث في الكيفية التي تعاملت الفلسفة بها مع قضايا الفن والجمال.

الكلمات المفتاحية:

الفن، الاستطيقا، الرسم، الفلسفة

التقديم:

يتجاوز اهتمام الفلسفة بالفن عتبة البحث في النظريات والمعاني الفكرية المجردة إلى عرض تلك الجوانب الحسية والانفعالية والقيمية المشيدة لنشاط الفنان، والتي على أساسها يعتبر الفن مغامرة تثري البعد الإبداعي للعمل الفلسفي مُقاربة إشكالياته من زاوية جمالية، تتراوح بين التراثية والراهنية وبين الواقعية والإفتراضية، آخذة مكانتها الطبيعية ومحققة مقولة شلينغ الذائعة: الفن هو الأورغانون الحقيقي والوثيقة الوحيدة للفلسفة .

هذه اللمسة الفلسفية المعانقة للفن درج على رسمها عديد فلاسفة ومنظري الجمالية منذ عهد الإغريق فالفلسفة الوسيطية مرورا بعصر النهضة وما تلاه من فكر حديث وصولا إلى الحقبة المعاصرة، آخذين بعين الاعتبار التباين الحاصل بين كل فترة زمنية وأخرى، في حجم وشكل الإطار الحاضن لتلك اللوحة أو الصورة ،ولعل الأمانة التاريخية تحتم علينا الإقرار بأن الزمنيين الحديث والمعاصر شهدا وتيرة عالية من النبض بين الفلسفة والفن خاصة منذ ولادة علم المعرفة الحسية على يد بومغارتن ، ليتحول بعده الإلتفات إلى مسألة الجمال وقضايا الفن ميزة ألمانية فريدة.

ضمن هذا السياق اندرجت فلسفة الفن عند هيدغر (1898-1976 م) مرتبطة بالأنطولوجيا الجمالية، ومتأصلة في الخطاب الفلسفي الألماني مؤذنة بتدشين خط جديد لمسار الإستيطيقا، إتصفت حاله بالإنفتاح على مواضيع غاية في الأهمية على غرار الكينونة، اللغة، الحقيقة، التأويل، التقنية... وغيرها من القضايا التي أعظم ما يميزها شدة الترابط فيما بينها وقوة الإختلاف الذي يباعدها عن بعض، ومن بين أهم أسئلة الفلسفة الهيدغرية المثارة حول موضوع الفن والتي يمكن إدراجها كإشكاليات لهذه المقالة: كيف شكلت المسألة الفنية سؤالا محوريا ضمن الفلسفة الهيدغرية ؟ وما هو هدفه من إعادة طرح سؤال الفن بشكل مختلف عن الفلاسفة السابقين عليه؟ ولماذا يحتل الشعر مكانة مرموقة في منظومة الفنون حسب هيدغر؟ وإلى ماذا يؤسس سؤال الشعر عنده ؟

هيدغر والفن: إنشغال متواصل

بداية يمكن القول إن الفن شكل مبحثا مهما في فلسفة هيدغر، وإحتل موقعا مركزيا في ثناياها، منذ محاولته الأولى لتأويل شعر هولدرلين التي قدمها في محاضرته بجامعة فرايبورغ وكان غرضه من وراء معاودة طرح سؤال الفن البحث عن أساس جديد لهذا السؤال[1]، وفي الوقت نفسه أن يوقع نهاية السؤال الجمالي حول الفن[2]، وهذا ما يظهر لنا من خلال ما قاله عن نيتشه وفلسفته الفنية معتبرا إياها خاتمة للجمالية الحديثة: ههنا في الواقع بلغ التفكير في السؤال الجمالي حول الفن إلى النهاية من حيث نتائجه الأخيرة، وصار على الحالة الشعورية أن ترد إلى مثيرات عصبية وإلى أحوال الجسد)[3].

[1]- فوزية ضيف الله :الفن بين هيدغر ونيتشه، ضمن: مؤانسات في الجماليات،(نظريات، تجارب، رهانات، كتاب جماعي إشراف وتنسيق: أم الزين بن شيخة المسكيني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015،ص59.

[2]_ المرجع نفسه: من كلمة المحررة أم الزين بن شيخة المسكيني،ص21.

[3]- مارتن هيدغر: ست وقائع أساسية من تاريخ الجماليات، ترجمة: فتحي المسكيني، ضمن كتاب: التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، جداول للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان، ط1، 2013،ص 192.

أراد هيدغر من خلف هذه القطيعة أن يضع أسسا جديدة ومعاصرة للبحث الجمالي محاطا بمتن فلسفي عميق متجاوزا بذلك ما سبقه من إسهامات كان يرى فيها قصورا ونقصا واضحا ، لا سيما فشلها الذريع في تخليص الفن من ربقة الميتافيزيقا، لذا فهو "يذهب في أكثر من موضع إلى اعتبار المحاولة الجمالية لنيتشه لا تعدو أن تكون إحدى تجليات أفول الميتافيزيقا "[1] .

يظهر المسار الهيدغري الجديد في تناول مسألة الفن أكثر مايظهر في مجموعة من مؤلفاته يأتي على رأسها (أصل العمل الفني) ويليه من حيث الأهمية (شروح على شعر هولدرلين) وكذا (ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هولدرلين وماهية الشعر) ثم (على الطريق إلى اللغة)،رغم أن كتابه العمدة (الوجود و الزمان) الذي ألفه سنة 1927م غاب فيه الحديث عن الفن الأمر الذي اتخذه البعض دليلا مقنعا على إن إتجاه هيدغر إلى الفن مثل هروبا رومانسيا كان سببه خيبة أمل نتجت عن فشله في الميدان السياسي[2].

يجوز لنا ألا نعتبر هذا الربط حجة قوية فالفيلسوف له أن يخصص مؤلفا أو أكثر لمناقشة موضوع ما بعينه وأن يربطه بموضوع آخر ويقتصر في هذا الصدد على ذلك، دون أن يدل هذا على عدم إهتمامه المسبق بمسائل أو قضايا أخرى، "وإذا كان عنوان (الوجود والزمان) حمل تحدي الوصول إلى تأويل الكينونة بدلالة الزمان وتأويل الزمان بدلالة الكينونة" [3] ، فإن بقية العناوين التي أشرنا إليها رفعت شعار ربط الفن بالوجود والوجود بالفن، ومدت الجسور المتينة بين الفن والحقيقة من كلتا الجهتين .

تتضح قوة الفن حسب هيدغر بجلاء في علاقته بما جرته الفلسفة من مواضيع ذات صلة به، وهذه العلائق تجعلنا نكتشف فيه أشياء وحاجات مطلقة تنتسب إلى الحقيقة أكثر من إنتسابها إلى الجمال وحده[4] ، والمهم هنا أن الجهود الهيدغرية في هذا المجال اتصفت بالقوة وكللت بالنجاح، وشاهد ذلك ما حققه هيدغر في (أصل العمل الفني) من إعادة النظر في كينونة الشيء بعيدا عن النفعية[5].

يجب التأكيد في كل مرة يقودنا فيها النقاش عن هيدغر والفن، على أن فيلسوفنا قد بسط جزءا لا يستهان به من بحوثه ودراسته الفلسفية حول موضوع الفن، وأن هذا الأخير لم يغب عن وعيه منذ 1935م تاريخ تأليفه لـ: (أصل العمل الفني)، ومن ثم ظلت الإشكاليات و الأسئلة والتفاصيل المتعلقة بالفن حاضرة في جل أعماله سواءا

---

[1]- حميد حمادي: هيدغر-نيتشه في حدود التجاوز الجمالي للميتافيزيقا،ضمن: من الكينونة إلى الأثر (هيدغر في مناظرة عصره)، كتاب جماعي إشراف وتحرير : إسماعيل مهنانة، دار الروافد الثقافية- ناشرون، بيروت، لبنان،ط1، 2013،ص95.

[2]- فوزية ضيف الله: مرجع سابق،ص59.

[3]- إسماعيل مهنانة : مارتن هيدغر من تحليلية الدازاين إلى فكر الكينونة ضمن :الفلسفة الغربية المعاصرة(صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج)، كتاب جماعي إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، تقديم: علي حرب، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط1، 2013،ج1، ص 706.

[4]- جان لاكوست: فلسفة الفن، ترجمة: ريم الأمين،مراجعة : أنطوان الهاشم ،عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2001 ،ص96.

[5]- مارك سنكلير: الأداة والميتافيزيقا(ملاحظة إضافية حول الوضع الغامض للاستعمالية عند هيدغر)، ترجمة: عفيف عثمان، مجلة فلسفات معاصرة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت العدد2، 2009، ص 152.

حصل هذا بطريقة مباشرة، أو حدث بالتلميح والإشارة ، حتى أنه لا يمكن للباحث في الإستيطيقا المعاصرة أن يضطلع بهذه الدراسة على أكمل وجه دون أن يتأثر عميق التأثر بآراء هذا الفيلسوف وأفكاره.

إذا كانت كل فلسفة تطرح مشكلة وكل مشكلة تطرح سؤالا، فإن سؤال الفن عند هيدغر لم يخرج عن هذا التقليد وطرح هو الآخر بطريقة إشكالية:(كون السؤال الجمالي عند هيدغر إنما هو جوهريا مخادع ومحتال إذ يظهر لأول وهلة بمظهر صغر الحجم والجزئية والغربة النسبية عن طارح السؤال، بيد أنه في حقيقته أي عندما يصاغ كما ينبغي فإنه يكون من الجذرية والشمولية بحيث أنه يستدعي لعلاجه العلاج الأنسب جماع الأسئلة الماهوية الأساسية للفلسفة)[1] .

هذه الميزة في فلسفة هيدغر تجعل من أي بحث في فكره أمرا شاقا وشائقا في آن، شاق إلى حد يدفع المرء إلى التراجع عن البحث، نظرا لما يواجهه من صعوبة في لغته الفلسفية، وشائق نظرا لما يولده في دخيلة الباحث من تحد للذات لبلوغ المعرفة[2]، وينسحب هذا الوصف على جميع المباحث الفلسفية لديه بما فيها الفن والجمال، وذلك بسبب الرابطة القوية التي نشأت بين هذا الموضوع وبقية الوحدات الفكرية المشكلة لفلسفة هيدغر.

حكم مثل هذا على فلسفة كفلسفة هيدغر الفنية لا يأتي من فراغ بل له ما يبرره ويعززه، ويدخل تحت مظلة هذا السياق ما قاله مارك جيمينيز في كتابه المعروف لدى قراء الجماليات (ما الجمالية؟) : " إعترف هيدغر مرات عديدة في حياته بإرتباكه أمام مسألة الفن الحديث، غير أن قراءه هم بدورهم لهم أن يبقوا حائرين أمام الاحتمال المقلق الذي يعده لنا "[3] .

كما قدمت كتابات هيدغر المخصصة للفن وللشعر على وجه التحديد، مثالا آخر عن الانعطاف السياسي الذي عرفته الجمالية في النصف الأول من القرن العشرين وترجمت حدة الإستقطابات في التصرفات والمواقف السلبية من الفن الحديث[4]، وعند هذه النقطة بالذات شكلت المسألة الفنية صلب الفلسفة الهيدغرية بعد إن صارت ضمن أولويات الإنسان المعاصر ليستدرك بفضلها مالحق به من إختلالات نجمت عن الحضارة وماخلفته من توحش وحياد عن جوهر الإنسانية.

ساهم جهد هيدغر في تأسيس قواعد جديدة واتجاهات متنوعة للبحث الجمالي فاستطاع إعتمادا على ذلك، أن يغير منهجية تأويل العمل الفني من خلال ما يعرف بالأنطولوجيا الظاهراتية ، فأحدث ثورة في كيفية إدراك العمل الفني وفي طريقة رؤية الجميل فيه ،يبين هذا بوضوح الروح التأسيسية التي عرف بها فيلسوف الكينونة فهو بقدر ما كان يقوض المفاهيم السابقة عليه،بقدر ما عرف عنه إقامته لمشروعه الفلسفي على تأسيس الجديد منها ،سالكا في ذلك درب الصياغة والنحت وفق ما يتماشى مع فكره ويتسق مع نظرته .

المراهنة الهيدغرية: سؤال الفن من جديد

---

[1]- فرحات مصطفى كمال: ملاحظة حول أزمة السكنى : زمن "الحاقة" عند هيدغر، ضمن كتاب: التفلسف اليوم وهنا، نصوص جمعها وأعدها للنشر: محمد محجوب، دار سحر للنشر، تونس،ط1،2007، ص22.

[2]- علي محمد إسبر: مارتن هيدغر أو الفشل المنهجي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-بيروت، ط1، 2015،ص9.

[3]-مارك جيمينيز: ما الجمالية؟، ترجمة: شربل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012 ،ص ص 360-361.

[4]- المرجع نفسه: ص 355.

تمثل كلمات هيدغر الأساسية ضمن القراءة الفنية أحد الوجوه المعبرة بحق عن هدفه من وراء إعادة طرح سؤال الفن بطريقة متميزة، هذا المعنى يتبلور رويدا رويدا من خلال دراستنا لبعض النصوص والمتون الفلسفية المرتبطة بهذا الغرض، يقول هيدغر في أحد نصوصه:" سعى بومغارتن النظرية العقلية لمنطق الحساسية، إستيطيقا، منذ ذلك الحين تسعى النظرية الفلسفية عن الفن- رغم معارضة كانط لاستعمال هذا المصطلح- الإستطيقا، وهذه وضعية تتضمن أكثر من مجرد مسألة تتعلق بالمصطلح، بل بالأحرى واقعة لا يمكن فهمها إلا انطلاقا من الميتافيزيقا الحديثة "[1].

عبر هذا النص عن قلق المفهوم الذي عاشته الإستطيقا بين مؤسسها الأول بومغارتن والفيلسوف الذي إستأنف بعده العمل في هذا الحقل (كانط)، "فالإستيطيقا هي إذن عبارة مخيبة لآمال كانط بالرغم من كون من نحتها إنما هو محلل رائع باعترافه هو نفسه، لكن روعة المحللين وفصاحتهم لا تكفي، لذلك لا يمكن عند كانط أن تكون الإستيطيقا علما بالمحسوس لأنه لا علم بالمحسوس"[2].

يهمنا من هذه القضية أن هيدغر طرح وجهات نظر الفلاسفة الذين سبقوه، لكي يتسنى له توضيح فكرته بشأن الفن، فبعد بومغارتن وكانط ،أعتبر هيدغر أن الإستيطيقا قد بلغت أوجها مع هيغل بوصفه أول من اعترف بـ"نهاية الفن الكبير" حيث صار الفن معه شأنا من شؤون الماضي، فالإستيطيقا لا تظهر حسب هيدغر إلا لحظة انحطاط الفن الكبير، وهذا ما علمته لنا جماليات هيغل[3] : "إنه في اللحظة التاريخية التي بلغت فيها الجماليات أكبر ما يمكن لها من العلو والإتساع والصرامة، كان الفن الكبير في نهايته، إن إكتمال الجماليات إنما يملك عظمته في كونها تعترف بهذا النحو من نهاية الفن الكبير بما هو كذلك وتعلن عليه عنه، إن هذه الجماليات الأخيرة للغرب هي التي وضعها هيغل"[4] .

تفطن هيدغر كذلك إلى إن الإمساك بمقاصد فلسفة الفن كامن ضمن إمكانية فهم ما تعنيه كلمات نيتشه الأساسية [5] ، ومن خلال هذا حدد هيدغر علاقة نيتشه بالميتافيزيقا و اعتبره آخر الميتافيزيقيين[6]، وإذا كان نيتشه يردد دائما عبارته :" لنا الفن حتى لا تقتلنا الحقيقة"، وتجاوز معه مفهوم الفن كل المسائل المتعلقة بالجماليات ليتحول إلى نشاط ميتافيزيقي من طينة خاصة، فإن هيدغر يربط الفن بالحقيقة ويجعله الحقيقة الأكثر تجليا وانكشافا[7].

إنطلاقا من تعريف نيتشه للفن يشير هيدغر إلى مسألة مهمة،إن هذا المفهوم النيتشوي غير متماسك ولا يمدنا إلا بتخمينات منعزلة ومتناثرة هنا وهناك، ويعمد هيدغر إلى تبيين ذلك عبر الاختبار الذي أجراه نيتشه على نظرية

---

[1]- مارتن هيدغر:السؤال عن الشيء ،حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كانط، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة :موسى وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان ،ط1، 2012،ص156.

[2]- أم الزين بن شيخة المسكيني: مرجع سابق،ص15.

[3]- المرجع نفسه: ص19.

[4]-مارتن هيدغر: ست وقائع في تاريخ الجماليات، مصدر سابق،ص 181.

[5] - Heidegger Martin : Nietzsche 2,trad: Pierre Klossowsk,Paris, Gallimard,1972,p210.

[6]- فوزية ضيف الله: كلمات نيتشه الأساسية ضمن القراءة الهيدغرية، منشورات ضفاف ،بيروت ،لبنان، ط1، 2015،ص 317.

[7]-المرجع نفسه:ص 60.

شوبنهاور الاستيطيقية، فما يقوله نيتشه عن الجمال متأت من معارضته لما أقدم عليه شوبنهاور ضمن نظريته في الفن[1].

هيدغر بعد أن يعرض لنا مجموعة آراء ثلة من الفلاسفة الألمان المنتمين للفترة الحديثة " يؤذن بإنتهاء عصر الذوق وعصر النقد وعصر التفكر في الفن، وإنفتاح العصر التأويلي على مصرعيه، وكذا انتقال السؤال عن الفن إلى الإستفهام عن أصل العمل الفني، وليس عن الذوق الفني ولا عن النقد الفني"[2] .

يضاف إلى ذلك إنتماء المسائل التي تناولها هيدغر في بحوثه الفنية إلى مجموعة القضايا التي تناولها الباحثون في مجال الخبرة الجمالية، من قبيل الإبداع الفني وتذوق الجمال، يفيد بمنحى وجهة نظره فيما يتعلق بمصطلح "الخبرة الجمالية" والتي ربطها بموقفه الفينومينولوجي الخاص الذي لم يخلو فكره منه في كل مراحل تطوره[3].

تنقل المحاضرات التي خلفها هيدغر لا سيما منها تلك التي حملت صبغة فنية و جمالية، التصورات الهيرمينوطيقية الهيدغرية عن الحقيقة والوجود واللغة إلى نطاق الفن [4]، وهيدغر إذ يفعل ذلك أراد أن يحدد لنا معالم نظرية تأويلية في الفن خاصة به ، تبين عظمة الفن وتحدد وظيفته الهيرمينوطيقية التي إنطلاقا منها نصل إلى الموقف الإستيطيقي الهيدغري القائم على التوتر الداخلي بين (الأرض) و (العالم) :" (الأرض) عند هيدغر تمثل الأم الخصبة والمصدر البدائي و الأساس الأولي لكل شيء. والعمل الفني بوصفه حدثا تتكشف فيه الحقيقة وتميط لثامها عن وجهها، يمثل الإمساك بهذا التوتر الخلاق وإحتباسه في (شكل)، إنه يكشف للإنسان التوتر الباطن بين (الأرض) و (العالم) ويأتي به إلى نطاق الموجودات ككل."[5] .

العالم لابد له من أن يواجه الأرض، لأنه يمثل الظهور والتفتح، بينما تمثل الأرض الإستغلاق والإنطواء، ولا تتحقق وحدة العمل الفني إلا من خلال الصراع بينهما، ولا يصل الفن إلى مرحلة التوازن فيصبح قارا في ذاته إلا بعد أن يجتاز مرحلة التوتر الحاد بينهما[6]، وهكذا يتحول : " تشييد الأرض وعرض العالم"[7]، إلى صفتين رئيسيتين للعمل الفني من وجهة نظر هيدغر.

يقول هيدغر:" الحقيقة تعمل فعلها في الأثر الفني، فهي إذن ليست شيئا حقيقيا فقط واللوحة التي تظهر حذاء الفلاحة، والقصيدة التي تتحدث عن البئر الرومانية، لا تفصح عن هذا الموجود المفرد من حيث هو فحسب، هذا إن كان لها ما تفصح عنه إطلاقا، وإنما تترك الكشف يحدث بصفته هذه من خلال علاقته بالموجود كلية، كلما كان ظهور الحذاء أبسط وأكثر جوهرية، وكلما كان البئر أكثر صفاء وخلوا من الزينة في جوهرهما، كان كل موجود معهما

---

[1]- أم الزين بن شيخة المسكيني:مرجع سابق،ص 77.

[2]-المرجع نفسه:ص 21.

[3]-سعيد توفيق: الخبرة الجمالية(دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية : هيدغر،سارتر،ميرلوبونتي، دوفرين،انغاردن)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1، 1992،ص 78.

[4]- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمينوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،ط1، 2007 ،ص 267.

[5]- المرجع السابق: ص 268.

[6]- زكريا إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (دط)، 1988، ص228.

[7]- عادل مصطفى: المرجع السابق، ص270 .

أكثر حضورا وأكثر لطفا، على هذه الصورة تتم إضاءة الوجود المتخفي، وهذا النوع من الضوء يلحق شعاعه بالعمل الفني ."[1] .

يريد هيدغر هنا أن ينبهنا إلى مهمة الفن ممثلة في هدف العمل الفني، الذي لا ترتكز فحواه على إبراز موجود بعينه والتركيز عليه بشكل تام بمعزل عن غيره من الموضوعات، بل تتبلور دائما في إظهار هذا الموجود بوصفه عملا فنيا يصون ويحفظ حضور الموجودات الأخرى.

الفن في ماهيته شعر:

يذكرنا التاريخ بأن العلاقة بين الفلسفة والشعر قديمة، منذ أن كتب أرسطو (البيوطيقا) أو (فن الشعر) قاصدا به الإنتاج والعمل بكل ماتحمله هاتان العبارتان من ايجاب ، ومنذ أن أعلن أفلاطون أن كراهية أبدية تحكم تلك العلاقة ،فبادر إلى طرد الشعراء من جمهوريته الفاضلة ، وصار كل ممتهن للشعر في نظره مجرد مقلد، فمثلت هاتان الرؤيتان لحظتا تقارب وتباعد على التوالي بين الفلسفة والشعر، وقد صورت لنا الحضارة الإغريقية الشاعر على أنه شخص ملهم يستقي إلهامه من عند الآلهة:" إن جميع الشعراء المجيدين، الملحميين منهم والغنائيين، يؤلفون قصائدهم الجميلة لا بواسطة الفن بل لأنهم ملهمون وممسوسون" [2] ، ومن جهة الشعراء يعطي بول فاليري وصفا للشعر في قالب فلسفي فريد حيث يقول:" إن الشعر يدعون إلى الصيرورة أكثر مما يدعونا إلى الفهم"[3]، لكن علاقة الشعر بالفلسفة تتضح أكثر مع هيدغر.

يخبرنا هذا الفيلسوف بأن الكلمة الدالة على الشعر في اللغة الألمانية هي (Dichting) ومصدرها (Tithon) الذي يرتبط بالأصل اللاتيني (Dictare) [4]، ثم يربط بينه وبين الفلسفة عندما كانت في مهدها الأول قائلا: " لم يبدأ الإغريق الإغريق في إدراك ماهية الفيزيس إنطلاقا من معرفتهم بظواهر الطبيعة، إنما على عكس من ذلك، بالإستناد على تجربة أساسية شعرية وفكرية للوجود "[5].

" الفكر حسب هيدغر لا يعني إعمال العقل على نحو منطقي فحسب، بل هو معانقة للقول الشعري في أصالته من أجل الحفر في ذاكرة النسيان، والنفاذ إلى النقطة الأصلية، ثمة جوار صعب بين الفكر والشعر، وقرابة مستحيلة، لكن مجاورته تحمل النجاة للفكر، فحيثما حم الخطر إلا وعظمت فسحة الخلاص." [6]، أولوية الشعر عند هيدغر مرتبطة بأولوية اللغة التي تنير فسحة ظهور الأشياء، فاللغة هي في الأصل قصيدة شعرية كونها تكتشف العالم، ولا يمكن للفن أن يعبر عن الرابطة الصراعية التي تجمع العالم بالأرض إلا من خلال الشعر[7].

---

[1]- مارتن هيدغر: أصل العمل الفني، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات الإختلاف، الجزائر،ط1، 2001،ص 76.

[2]- أفلاطون : محاورة إيون، نقلا عن: عادل مصطفى، مرجع سابق،ص 356.

[3]- ماريا ثامبرانو: الفلسفة والشعر، ترجمة: محمد البخاري،دار الثقافة العربية ، القاهرة ،مصر،ط1، 2008،ص153.

[4]- محمد كرد: الشعر والوجود عند هيدغر،مذكرة شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة غير منشورة ، تحت إشراف: البخاري حمانة، جامعة وهران، 2011-2012، ص18.

[5] -Martin Heidegger : Le principe de la raison, trad : André Préau, Gallimard,1962,p164.

[6]- محمد الشيكر: هيدغر وسؤال الحداثة ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1،2006، ص89.

[7]- ميشال هار: فلسفة الجمال قضايا وإشكاليات، ترجمة: إدريس كثير و عز الدين الخطابي، منشورت مابعد الحداثة، فاس، المغرب، ط1،2005،ص ص 73-74.

تمثل اللغة ميدان عمل الشعر، لذا فنحن نفهم ماهية الشعر من ماهية اللغة، لكن وبما أن الشعر هو بمثابة اللغة الأولية للشعوب من الناحية التاريخية، وجب كذلك أن نفهم ماهية اللغة إبتداءا من ماهية الشعر[1]، وهذا الأخير يشكل عند هيدغر جوهرا لجميع الفنون لأنه (لغة) ،واللغة هي أداة الإنسان لتحقيق العلانية، وإظهار المستخفي [2].

الفكر والفن (الشعر) مدعوان لمجاوزة الميتافيزيقا التي تقدم تصورا للوجود بناءا على تمثله كموضوع قابل للامتلاك، والشعر تأسيس للوجود، وبهذا الشكل يصبح الفنانون والشعراء رعاة وحماة لهذا الوجود: " الشعر إنشاء وتأسيس، ورجوع إلى المصدر وعودة إلى الينبوع الأصلي للوجود، وإذا لم يحقق الشعر هذا المعنى فإن الذي أمامنا لا يكون شعرا، فكتابة الشعر لا تعتبر نوعا من الزخرفة واللهو الأجوف حسب هيدغر ، أن تكتب الشعر يعني أن تقوم باكتشاف"[3].

تعلق فكر هيدغر بشعر هولدرلين بطريقة لم يكن في استطاعته الهروب منها، فهولدرلين هو الشاعر الذي تحدث عن المقدس بإقتدار، لهذا إستحق عن جدارة لقب "شاعر الشعراء" : "نحن لم نختر هولدرلين لأن عمله يحقق الماهية العامة للشعر، ولكنناإخترناه لهذا السبب وحده : وهو أن ما يؤلف الدعامة التي يرتكز عليها شعر هولدرلين هو هذا التصميم الشعري الذي يتكون من تأمل ماهية الشعر نفسها، أو التعبير عن الشعر بهذا التأمل، فهولدرلين في نظرنا هو بمعنى من المعاني المميزة : شاعر الشعراء"[4] .

إذن هذا الشاعر حصل على هكذا الامتياز بفضل مقدرته على التفكير في ماهية الشعر ذاته، لأنه يفكر في الأصل، وقد بلغ هذه المقدرة بواسطة شيء واحد، اللغة الشعرية البعيدة النسق الميتافيزيقي، إن تفكير هولدرلين في جل أشعاره كان منصبا على لغة الوجود ولم يعر اهتماما إلى لغة النسق العلمي المحكومة بالمقولات المنطقية[5] .

يصبح الشعر عند هيدغر ملاذا يحتمى به، وتتحول شخصية هولدرلين في نظره إلى لحظة انتظار أخيرة يرتجى فيها وصول الكينونة، وهنا يقع الفيلسوف في غواية الشاعر، وينجح الشاعر في ممارسة الإغراء على فيلسوف لطالما صمم على نقض بناء الميتافيزيقا من كل دعاماتها .

" ولكن وما يبقى يؤسسه الشعراء" [6] فالشعر بهذا المعنى يكون تأسيسا للوجود بواسطة الكلام، وذلك من خلال إقامته لعلاقة حميمية بين اللغة والوجود، وتحقيقه لمعنى السكن الشاعري للإنسان على الأرض.

" ومع ذلك فإنه ينبغي علينا معشر الشعراء

أن نظل واقفين حاسري الرؤوس

---

[1]- من تقديم عبد الرحمان بدوي لكتاب : مارتن هيدغر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة: فؤاد كامل ومحمود رجب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر،ط1974،2، ص 15.

[2]- زكريا إبراهيم: المرجع السابق،ص 229.

[3]- مجاهد عبد المنعم مجاهد: علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، المكتبة الانغلوالمصرية ، مصر،ط1980،2،ص 157.

[4]- مارتن هيدغر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، مصدر سابق، ص142.

[5]- محمد كرد : هولدرلين والميتافيزيقا مقاربة هيرمينوطيقية، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد6، جانفي 2016،ص 59.

[6]- مارتن هيدغر: ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، مصدر سابق، ص141.

وأن نمسك برق الأب بأيدينا،

بل الأب نفسه، وأن نقدم للناس

الهبة السماوية ملفوفة في نشيد "[1].

ما تقوله هذه الأبيات لا يخرج عن معنى أن الشعراء هم أنصاف آلهة، يفكرون في بداية أخرى، إنهم يقيمون في منزلة بين المنزلتين، بين الآلهة والبشر يستقبلون إشارات ورموز الآلهة ليخاطبوا بها الناس[2] .

نختم هذا العنصر بنصين لهيدغر يوضحان مكانة الشعر بالنسبة للفن وهما مأخوذان من مؤلفه (أصل العمل الفني)، يقول في النص الأول:" عمل اللغة هو شعر الوجود الأكثر أصالة والفكر الذي يفكر في الفن كله باعتباره شعرا ، ويكشف وجود لغة العمل الفني لا يزال هو نفسه في طريقه إلى الفلسفة"[3] ، بينما يقول في النص الثاني :" الفن كله بوصفه ترك حدوث حقيقة الموجود على هذا النحو هو جوهر الشعر (...) لكن الشعر ليس مجرد تفكير إعتباطي شارد ولا هو مجرد حومان التصور والتخيل حول ما هو غير واقعي، إن ما يعرضه الشعر هو المنفتح "[4] . الحقيقة أن هذين النصين يمثلان عينة فقط من نصوص كثيرة وردت في مؤلفات متفرقة لم يتسع المقام للإستشهاد بها ،وكلها تبين مدى أهمية الفن عموما والشعر بخاصة لدى هيدغر ،هذا الأمر الذي يدخل ضمن سياق فلسفي منظم وموجه نحو غاية واضحة ،مدفوع برغبة صاحبها لتسليط الضوء أكثر على مثل هذه المباحث والمواضيع.

خاتمة:

يمثل ما سبق نزرا يسيرا مما بسطه هيدغر عبر كامل فلسفته بخصوص إشكالية الفن ،ومما كان في استطاعتنا فهمه بما توفر لدينا من مادة معرفية وبما أسعفتنا به قراءاتنا المتواضعة ،وتجدر الإشارة إلى أنه كلما تعمقنا أكثر في ثنايا المتن الهيدغري كلما توصلنا إلى أفكار جديدة ،و إكتشفنا أصالة هذا المفكر الفذ وتفرده ليس في تناول هذا الموضوع فحسب بل و مواضيع أخرى عديدة ،فالدارس لتركة فيلسوف الغابة السوداء مثلما يلقبه البعض ،يشعر مع كل مرة يقرأ فيها نصا من نصوصه ،أن فتحا معرفيا قد أضاء بعض جنبات فكره المستغلق ، كيف لانقول هذا ؟ وفيلسوف مثل إيمانويل ليفيناس يقر أن الخوض في الفلسفة دون الدراية والإلمام بهيدغر يعتبر ضربا من السذاجة، وقد شكل ماقدمه هيدغر من دراسات حول الفن محاولة جادة للعودة بالعمل الفني إلى أصوله الحقيقة،وذلك عبر إعادة الإعتبار إليه وإبرازه في شتى حالاته ،كما مثلت جهوده ما يشبه عملية إزالة الغبار عنه بسبب ما لصق به من أتربة الفلسفات السابقة ،وما يزيد هذا تأكيدا هو الأفق الأنطولوجي الذي إحتوى رؤية هيدغر للفن، ناهيك عن المسحتان الفينومينولوجية والهيرمينوطيقية اللتان أطرت تناوله له ،طابعة الأثر الهيدغري على الأثر الفني .

---

[1]- مارتن هيدغر: إنشاد المنادى(قراءة في شعر هولدرلين وتراكل)،ترجمة: بسام حجار، المركز الثقافي العربي، بيروت،الدار البيضاء،ط1،1994 ،ص 104.

[2]- محمد كرد: هولدرلين والميتافيزيقا مقاربة هيرمينوطيقية، مرجع سابق، ص61.

[3]- مارتن هيدغر: أصل العمل الفني، مصدر سابق،ص 144.

[4]- المصدر السابق: ص69.

البيبليوغرافيا:

أولا : المصادر:

أ- بالعربية:

1- مارتن هيدغر: أصل العمل الفني، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2001.

2- مارتن هيدغر: ست وقائع أساسية من تاريخ الجماليات، ترجمة: فتحي المسكيني، ضمن كتاب: التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، جداول للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان،ط1، 2011.

3- مارتن هيدغر:السؤال عن الشيء ،حول نظرية المبادئ الترنسندنتالية عند كانط، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة :موسى وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان ،ط1، 2012.

4- مارتن هيدغر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر، ترجمة: فؤاد كامل ومحمود رجب، مراجعة وتقديم عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر،ط2، 1974.

5- مارتن هيدغر: إنشاد المنادى(قراءة في شعر هولدرلين وتراكل)،ترجمة: بسام حجار،المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء ،ط1، 1994.

ب- بالفرنسية:

1- Martin Heidegger : Le principe de la raison, trad : André Préau, Gallimard,1962.

2- Martin Heidegger : Nietzsche 2,trad: Pierre Klossowsk,Paris, Gallimard,1972.

ثانيا - المراجع:

1- أم الزين بن شيخة المسكيني و آخرون :مؤانسات في الجماليات(نظريات، تجارب، رهانات)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

2- إسماعيل مهنانة وآخرون: من الكينونة إلى الأثر(هيدغر في مناظرة عصره)، دار الروافد الثقافية- ناشرون، بيروت، لبنان،ط1، 2013.

3- جان لاكوست: فلسفة الفن، ترجمة: ريم الأمين،مراجعة : أنطوان الهاشم، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1،2001.

4- زكريا إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، (دط)، 1988.

5-سعيد توفيق: الخبرة الجمالية(دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية :هيدغر،سارتر،ميرلوبونتي، دوفرين،انغاردن)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1، 1992.

6- عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمينوطيقا (نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،ط1 ، 2007.

7- علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة(صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج)، تقديم: علي حرب، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2013،ج1.

8- علي محمد إسبر: مارتن هيدغر أو الفشل المنهجي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-بيروت، ط1 ، 2015.

9- فوزية ضيف الله: كلمات نيتشه الأساسية ضمن القراءة الهيدغرية، منشورات ضفاف، بيروت ،لبنان، ط1، 2015.

10- مارك جيمينيز: ما الجمالية؟، ترجمة: شربل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

11- ماريا ثامبرانو: الفلسفة والشعر، ترجمة: محمد البخاري،دار الثقافة العربية ، القاهرة ،مصر،ط1، 2008.

12- محمد الشيكر: هيدغر وسؤال الحداثة ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب،ط1، 2006.

13- محمد محجوب : التفلسف اليوم وهنا، دار سحر للنشر، تونس،ط1،2007.

14- مجاهد عبد المنعم مجاهد: علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، المكتبة الانغلو المصرية ،مصر،ط2، 1980.

15- ميشال هار: فلسفة الجمال قضايا وإشكاليات، ترجمة: إدريس كثير و عز الدين الخطابي، منشورت مابعد الحداثة، فاس، المغرب، ط1، 2005.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1- مارك سنكلير:الأداة والميتافيزيقا(ملاحظة إضافية حول الوضع الغامض للإستعمالية عند هيدغر)، ترجمة: عفيف عثمان، مجلة فلسفات معاصرة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان، العدد2، 2009.

2- محمد كرد : هولدرلين والميتافيزيقا مقاربة هيرمينوطيقية، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد6، جانفي 2016.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1- محمد كرد: الشعر والوجود عند هيدغر، مذكرة شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة غير منشورة، إشراف: البخاري حمانة، جامعة وهران، 2011-2012.